

كتابة الدكتورة/ موزي عبد المجيد بترجي

استشارية روضة طبيعية

إن الجهل وعدم توفر الدعم اللازم للرضاعة الطبيعية يساعدان على الاعتقاد بأن الرضاعة الصناعية تعادل الرضاعة الطبيعية.

والدليل على ذلك المقالة التي نشرت في جريدة عكاظ يوم 14 مايو 2009م بقلم محمد المصباح حول رأي الشيخ صالح اللحيدان في الحليب الذي يجمد في ثلاجات المستشفيات. والذي يعارض قيام منظمة الصحة العالمية بتجميد حليب الأمهات الطبيعي لإعطائه لحديثي الولادة لأنه على حد قوله قد يختلط بحليب أم أخرى وقد لا يعرف الطفل في المستقبل من هي أمه. وقد أنهى الشيخ صالح اللحيدان قوله بأن يقترح على المستشفيات استخدام الحليب الصناعي، أو حليب الغنم، أو حليب البقر عوضاً عن إعطاء الطفل حليب طبيعي مصدره أم مجهولة الهوية. وهذا فيه تعارض صريح مع الآية الواردة في سورة الطلاق الآية "فسترضع له أخرى" (5).

نحن في العام 2009م في زمن لا يصعب فيه استخدام أحدث التقنيات لتحديد وحفظ السجلات الخاصة بالحليب المتوفر في المستشفيات. إن تحديد الحليب الخاص بكل أم وكل طفل عملية في غاية السهولة، بل والأسهل هو تسجيل حتى مصدر الحليب الذي يعطى للرضيع في أوراق الطفل الرسمية. ولعله من المفيد أن نتذكر أن الحليب الآدمي جعله الله لأطفال الجنس الآدمي وحليب الحيوان لأطفال الحيوانات.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ارضعيه ولو بماء عينيك" موجهاً حديثه لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه ناصحاً لها بإرضاع وليدها.

تدعم الأبحاث العلمية بشدة فوائد الرضاعة الطبيعية وتغذية الطفل المعتمدة على حليب الأم دون تعزيزها بأي نوع آخر من التغذية. وقد جاء في تقارير منظمة الصحة العالمية/اليونيسف بأن "انخفاض نسبة الرضاعة الطبيعية خصوصاً في نصف السنة الأولى من عمر الطفل من أهم العوامل التي تزيد من مخاطر إصابة الأطفال بالأمراض وبالتالي من نسبة الوفيات والتي لا نكاد

نراها إلا من جراء التغذية غير المناسبة". إن الأثر الإيجابي للرضاعة الطبيعية ذو فوائد ملازمة تصاحب الطفل طوال حياته وتنعكس عليه في مراحل التعلم، ونموه الذهني والاجتماعي، وقدرته على الإنتاجية السليمة.

تعد الرضاعة الطبيعية الحصرية خلال الست الأشهر الأولى من عمر الطفل هي الطريقة المثلى للتغذية، وهي تعود بالفائدة على كل من الطفل وأمه. أشارت الدراسات الحديثة إلى وجود اهتمام كبير وقلق من تدني نسبة الاعتماد على الرضاعة الطبيعية في الدول النامية وخصوصاً في دول الشرق الأوسط. بينما تعاني مجتمعات كثيرة في المملكة العربية السعودية من تزايد في نسبة الإصابة بأمراض مختلفة منها السمنة المفرطة، وأمراض السكر، وارتفاع ضغط الدم. والمشكلة تكمن في أن السيدات السعوديات لا يرضعن أبنائهن رضاعة طبيعية حصرية مما تسبب في تدني مستوى الصحة العامة في المجتمع السعودي.

وقد قال تعالى في كتابه العزيز: "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أرد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف.....". على الرغم من هذه التعاليم المرشدة المشددة الموجهة للأمهات بإرضاع أبنائهن حتى يبلغن العامين، ما تزال الأمهات السعوديات تلجأن إلى الرضاعة الطبيعية المدعمة بالرضاعة الصناعية أو إلى الاعتماد التام على الرضاعة الصناعية. العديد من المشكلات الصحية لدى الأطفال قد تنشأ مباشرة من البيئة المحيطة بهم أو من أساليب التغذية. يتعرض الأطفال أثناء نموهم إلى عوامل وملوثات قد تؤثر سلباً على نمو الأنسجة لديهم مما يتسبب في الإصابة بالكثير من الإعاقات المختلفة منها الإصابة بصعوبات التعلم أو السرطان.

هذا ويلزم ديننا الحنيف الأب بتوفير ما تحتاجه الأم المرضع من غذاء وملبس وراحة إلى أن تكمل مرحلة الإرضاع لوليدها. إن لم تكن الأم قادرة على إرضاع طفلها فعلى الأب أن يجد مرضع لكي تمنح الطفل ما يحتاجه. قال تعالى: "... فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى." ولكن على الرغم من كل تلك التعاليم الدينية سواء في القرآن أو السنة، والتي تدعمها المنظمات العالمية مثل منظمة الصحة العالمية واليونيسيف مازلنا نجد الأمهات في

المملكة العربية السعودية يقبلن على إرضاع أبنائهن بعد الولادة ولكنهن يتوقفن بعد فترة وجيزة ويستعن بالرضاعة الصناعية.

يتعرض الأطفال الذين تعتمد تغذيتهم على الحليب الصناعي إلى الإصابة بتسمم ناتج عن الحليب إما لعدم توفر الماء النقي أو لوجود عناصر مثل "انتروباكتر ساكازاكي" في الحليب البودرة. وقد أثبت في عدد من التقارير الطبية إصابة الأطفال بأمراض معدية ووجود بكتريا في الأمعاء منقولة من الحليب الصناعي. كما أثبتت الإصابة بميكروب السالمونيلا وغيرها من المركبات في معظم تلك التقارير.

والواقع أن التلوث أمر مثير للفرع نظراً لأن الأطباء قد لا يكونون على علم بحجم المخاطر المحتملة من جراء تناول مركب الحليب الصناعي. قد تكون التغذية بالحليب الصناعي من الإجراءات الروتينية المتبعة في المصحات، على الرغم من الدلائل العلمية المثبتة إلى تلوث تلك الأنواع من الحليب الصناعي واحتوائها على عناصر حيوية معدية.

قد نرى تردد العديد من الأمهات في إرضاع أبنائهن خوفاً مما قد يكون في حليبهن من سموم دون اعتبار للسموم التي قد تحتويها أنواع الحليب الصناعي. يتعرض الأطفال حديثي الولادة الذين يعتمدون على الرضاعة الصناعية أكثر من غيرهم ممن يعتمدون على الرضاعة الطبيعية إلى الإصابة بالأمراض الحادة مثل الإسهال، والتهابات الأذن، والتهابات الرئة، والغدة النكفية، وغيرها من أمراض التنفس المعدية. هذا إلى جانب أن الأطفال حديثي الولادة الذين يعتمدون في تغذيتهم على الحليب الصناعي يصابون بالأمراض المزمنة وغيرها من الحالات مثل متلازمة الموت الفجائي، والسمنة المفرطة وسرطان الدم، وأمراض الربو، وانخفاض معدل الذكاء.